

مقومات التنمية المستدامة في القرآن الكريم Components of Sustainable Development in the Holy Quran

علي بن محمد إبراهيم شهاب

Ali bin Muhammad Ibrahim Shehab

Associate Professor of Tafsir, Department of Islamic Culture
College of Education and Development, University of Bisha, Saudi Arabia

 <https://orcid.org/0009-0003-4301-4023>

تاريخ التسليم: (2025/4/6)، تاريخ المراجعة: (2025/4/29)، تاريخ القبول: (2025/5/21)

Abstract

This research explores the components of sustainable development within the verses of the Holy Quran. It also seeks to highlight the importance of individuals adhering to these components in stewarding the Earth. The study uses inductive research paradigm to analyze the Quantic phrase and support hem with the sayings of scholars and interpreters. The study found that the strength of a community lies in its preservation of resources, which should be regarded by every individual as a valuable asset that must be protected. The study proposed promote education and awareness regarding the significance of protecting and effectively managing natural resources, through educational curricula in general education and scientific research in higher education.

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مقومات التنمية المستدامة من خلال نصوص القرآن الكريم، مع تحليل تلك النصوص القرآنية والاستشهاد عليها من أقوال العلماء والمفسرين، كما تهدف الدراسة إلى بيان أهمية تمسك الإنسان بتلك المقومات في عمارة الأرض، وتوصل الباحث أيضًا إلى مجموعة من النتائج أهمها: تكمن قوة المجتمع في المحافظة على ثرواته، ويجب أن يتعامل معها كل فرد من أفراد المجتمع على أنها مكسب من مكتسباته التي ينبغي المحافظة عليها، كما خرج الباحث بمجموعة من التوصيات أهمها: التوصية بنشر التثقيف والوعي بأهمية حماية الموارد الطبيعية وحسن إدارتها؛ وذلك من خلال المناهج التعليمية في التعليم العام والأبحاث العلمية في التعليم العالي.

الكلمات المفتاحية: مقومات؛ التنمية المستدامة؛

Keywords : Components; Sustainable Development; Quran; Holy.

القرآن؛ آيات.

I - مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد: لقد مَنَّ الله على عباده بمنن عظيمة لا تعد ولا تحصى؛ من أجلها نعمة القرآن العظيم؛ أنزله المولى عز وجل لهداية البشرية، ولذلك أمرهم بتدبره فقال سبحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص:29]، كما أبان لنا رسولنا الكريم-صلى الله عليه وسلم- ما نزل إليه من ربه بيانًا كاملاً شاملاً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:164].

إننا وبالرجوع إلى القرآن الكريم نقف على كثير من الآيات التي خصصت لمعالجة واقع الجماعات البشرية، فلا تكاد تخلو سورة من عرض لوقائع تاريخية، ومناقشة لأحوال أمم سالفة، وتأتي الآيات فيها مركزة على أثر الفرد وطبيعة علاقته مع نفسه ومع أسرته ومجتمعه، كما أنها تبين طبيعة تلك العلاقات وحدودها، والبنى، والأدوار.

وكان قد لفت نظري عظم الآيات التي تعالج موضوعات لقضايا كبرى علق عليها العالم اليوم ناقوس الخطر، مثل: (التعليم- الفقر- التغير المناخي- المياه- البيئة...)، وأسهم هذا الاهتمام إلى بروزه كقضية عالمية، فرأيت أن أجمع الآيات القرآنية التي تناولت هذه الموضوعات، ثم أصنفها في مباحث تدل عليها، فجاء العنوان موسومًا بـ: "مقومات التنمية المستدامة في القرآن الكريم"، وتكمن أهمية الدراسة في موضوعها الذي يمس حاجة الناس، ويزداد الموضوع أهمية عندما نقف على مدى تواصل القرآن مع العالم؛ لعلاج الكثير من المشاكل الذي تعثره.

مشكلة البحث:

لا يخلو أي عمل من صعوبات تعترض الباحث في بحثه، وخصوصًا إذا كان البحث في القرآن الكريم، ومعلوم ماله من خصوصية، وقدسية، وما يتطلب ذلك من دقة وتأن عند تحليل النصوص القرآنية، حتى لا يؤدي ذلك التحليل إلى تحميل النص ما لا يحتمله، وهذا أمر يحتاج إلى حذر شديد ودقة بالغة، ولقد بذلت ما بوسعي في هذا الجهد المقل، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارؤه.

أهداف البحث:

إبراز جهود العلماء المتخصصين في تفسير القرآن الكريم.
الإسهام في موضوع معاصر يدرك العالم بأسره أهمية البحث فيه.
تحفيز الباحثين لأهمية الكتابة فيما يخدم الموضوعات المعاصرة.

منهج البحث:

أستلزم موضوع البحث اتباع المنهج التالي:
المنهج الاستقرائي: القائم على جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع.
المنهج الوصفي التحليلي: القائم على الوصف والاستنباط، واستخراج المبادئ والأسس وما يتصل بها من أهداف وقيم من القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

بحسب اطلاع الباحث واستقصائه لما كُتب في موضوع "مقومات التنمية المستدامة في القرآن الكريم" فلم يعثر على أي دراسة بهذا المعنى، وفق المفهوم الدقيق للدراسات السابقة. بيد أن ثمة دراسة أكاديمية تناولت أجزاء من الموضوع على نحو يختلف عن دراستي، وهي بعنوان: "التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني للأستاذ الدكتور: قتيبة فوزي جاسم الراوي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن/ كلية العلوم الإسلامية-جامعة الفلوجة/ العراق، نشر بتاريخ 13 مارس 2023، عنوان العدد: المؤتمر الدولي الثالث للعلوم الإنسانية، عنوان المجلة: KnE Social Sciences، والبحث جيد في عرض التوجيهات القرآنية التي تدعم مفاهيم التنمية المستدامة ودورها في البناء والتطوير، وكذلك في عرض مفهوم المصطلح ونشأته، وكان الباحث قسم بحثه حسب البنود السبعة عشر التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في 25 أيلول/سبتمبر 2015م، ويستشهد لما جاء في تلك البنود من أهداف من خلال القرآن الكريم ما يؤكد سبق القرآن الكريم في معالجة جميع المشكلات التي يضعها العالم اليوم نصب عينيه.

أما بحثي هذا فقد ركز على الأسس الرئيسية التي يقوم عليها بنیان التنمية المستدامة من خلال آيات القرآن الكريم، وبيان أهمية تمسك الإنسان بها بشكل مستدام، حتى يكون له نصيباً من الخير والأمن والسلامة في نفسه وأهله، ومجتمعه ووطنه والعالم أجمع.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وسبعة مباحث، وخاتمة، وفهرس، كما يأتي:
المقدمة: وتشتمل على بيان منزلة القرآن الكريم، وأهمية الموضوع وسبب اختياره وبيان خطة البحث.

التهديد: وفيه بيان مفهوم التنمية المستدامة، وتقدمة في عناية القرآن بالإنسان ودعوته للعمل على إقامة أصول التنمية المستدامة.

المبحث الأول: طلب العلم.

المبحث الثاني: الإيمان بالله.

المبحث الثالث: الاجتماع والسمع والطاعة.

المبحث الرابع: العدل والمساواة.

الطلب الخامس: العناية الصحية.

المبحث السادس: العمل والإتقان.

المبحث السابع: المحافظة على البيئة والاستهلاك الرشيد.

الخاتمة.

فهرس المصادر والمراجع.

التهديد

أولاً: بيان مفهوم التنمية المستدامة:

التنمية لغة: مصدر نمى¹ قال ابن فارس: "الميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، ونمى المال ينمي: زاد. ونمى الخصاب ينمي وينم، إذا زاد حمرةً وسواداً. وتتمى وانتمى فلان إلى حسبه: انتسب، والنامية: الخلق، لأنهم ينمون، أي يزدون..."²

الاستدامة في اللغة: استدامة مفرد: مصدر استدام، تقول (استدام) الشيء دَامَ وفلان بالغ في الأمر وانتظر وترقب ويُقال استدام ما عند فلان والطائر دوم والشَّيء طلب دَوامه وتأنى فيه والأمر ترفق وتمهل فيه، قال قيس بن زهير:

فلا تَعَجَلْ بأمرِكَ واستدمه ... فما صَلَّى عصاك كمستديم³

وبناءً على ما تقدم، فيمكن الخلوص إلى تعريف التنمية المستدامة، باعتباره لقباً على ما

¹ عمر، أحمد مختار، وفريق عمله، معجم اللغة العربية المعاصرة، (بدون: عالم الكتب، 2008)، 2290/3.

² أبو الحسين زكريا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة العربية المعاصرة، (بدون: عالم الكتب، 2008م)، 2290/3.

³ أبو نصر الجوهري الفارابي، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4 (بيروت: دار العلم للملايين، 1987م)، 2404/6، والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1995م)، 218/1، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، 790/1، وإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (القاهرة، دار الدعوة، بدون)، 305/1.

اصطلح عليه حديثاً بهذه الجملة، فيقال في تعريفها، هي: " القدرة على الترقى والنماء بشكل مستمر ".

والمقصود بالتعريف هو المحافظة على الاستمرار والتطوير في زيادة الموارد المختلفة (بشرية، واقتصادية، وطبيعية، واجتماعية)، ودعم زيادة الإنتاج لتلبية الاحتياجات الأساسية بشكل طبيعي متوازن بدون أن يؤثر ذلك على الاحتياجات المستقبلية للإنسان، وكان قد برز هذا المصطلح مع زيادة الاهتمام العالمي بحماية الأرض والحفاظ على مواردها، ويقصدون بذلك عملية تطوير الأرض في كافة المجالات، ومن هنا برز التعريف الأكثر شيوعاً: " مستقبلنا المشترك"، في تقرير صدر عن لجنة برونتلاند عام 1987م، والذي جاء ليحذر من المخاطر البيئية المترتبة عن النمو الاقتصادي، والعلومة، والنمو السكاني، والتصنيع، ومحاولة إيجاد حلول مناسبة لهذه المشكلات⁴.

ثانياً: مقدمة في عناية القرآن بالإنسان ودعوته للعمل على إقامة أصول التنمية المستدامة

إن الناظر في آيات القرآن الكريم يلاحظ عناية الله تعالى بالإنسان وتكريمه له، وابتداء ذلك في نسبة روح الإنسان إليه سبحانه، ثم في أمره للملائكة بالسجود له، حيث قال: ﴿إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة: 34]، كما تظهر العناية بالإنسان في خلقه على أحسن هيئة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، قال ابن كثير في تفسيره: "... خلقهم على أحسن الهيئات وأكملها، أي يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً؛ يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية"⁵، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: 70]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: 32-33]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: 20].

⁴ حنين عدیل، معنی التنمية المستدامة، 2019م، رابط:

https://mawdoo3.com/%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%A%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9#cite_note-2w3tqJEoEK-1

⁵ أبو الفداء الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمود حسن (بدون: دار الفكر، 1994م)، 65/3.

كما أن في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]، ما يفيد بأن العالم الأرضي يحظى بعناية المولى عز وجل، فعلى آدم على مرّ السنين وتعاقبها أن يهتم بتدبير شؤون الكون، والسعي في صلاح العالم واستقامة أحواله، فآدم هو أول مستخلف إنساني ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَم خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 14]، والذي يتأمل الشرائع الإلهية منذ النشأة إلى ختم الرسالة بالنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- يلاحظ أنها جاءت لتضبط تصرفات الناس في الأرض بقوانين حكيمة، وهذه القوانين هي بمثابة أصول داعمة للتنمية المستدامة، ولذا جاءت شريعة الإسلام تدعو إلى الصلاح وتحارب الفساد بجميع أشكاله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 205].

II- المبحث الأول: طلب العلم

يحتل الإنسان موقع القطبية المتفردة في هذا الكون على مستوى العلم والمعرفة، وذلك لقدرته على الاستيعاب لما يحيط به في هذا الوجود، كما أن لديه الاستطاعة في نقل هذه الوسائل المعرفية من العالم الخارجي إلى داخله، وبسبب ذلك نال شرف القيومية في الأرض على سائر الكائنات، وهذا بدون شك نوع من التكريم، ويشير إلى المنزلة الرفيعة التي يحظى بها الإنسان، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: 31-33].

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يدرك مهمة الوحي في إمداد الإنسان بالعلم المتصل بعالم الغيب ليربطه مع عالم الشهادة، فيحصل بذلك تكامل الوحي بالعقل والكون، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ * وَمِنَ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 27-28]، فهذه الدعوة ومثيلاتها تؤكد قدرة الإنسان على الاستفادة من ملاحظة السنن والأحداث؛ الأمر الذي سيمكنه حتمًا من الربط بين الطاقة المفكرة وسنن الله في الوجود.

لقد بلغ اهتمام القرآن الكريم بقضية العلم إلى الحد الذي يجعله مقدمًا في الذكر قبل خلق الإنسان وبعده: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1-4]، وهذا ما يفسر تكرار

فعل (عَلِمَ) ومشتقاته في القرآن نحوًا من 850 مرة⁶، كما أن أول ما نزل من القرآن جاء في الحث على طلب العلم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]، ويُلاحظ تكرار لفظ (اقرأ) في الآيات الكريمة مرتين؛ فالأولى: جاء فيها الحث على تدبر الخلق، ويبدأ التفكير من الإنسان نفسه؛ والقصد من ذلك هو التوصل إلى معرفة الكون بالبحث العقلي لاكتشاف مكنوناته، وهذا التفكير هو ما كان يقوم به النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل نزول الوحي عليه، كما ذكرت عائشة -رضي الله عنها- في الحديث: "فَكَانَ يَأْتِي جِرَاءً فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ وَيَتَرَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى حَدِيحَةٍ فَتَرْوُدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فُجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ جِرَاءٍ"⁷، وجاء في الآية الثانية: ما يفيد بأن العلم كرم من الله لا يستطيع الإنسان أن يتوصل إليه إلا بتوفيق منه؛ ولذا قال سبحانه ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 5]، وهذا ما يفسر سر نجاح التقدم المادي في الحضارة الإسلامية، إذ لم ينته المطاف بالمسلمين إلى الإلحاد والتمرد على القيم الإنسانية، كما أن (اقرأ) في المرة الثانية محفزة للإنسان في طلب المزيد من المولى -عز وجل- للتوصل إلى معرفة قوانينه التي سخرها لنا من أجل عمارة الأرض؛ امتثالاً لأمره سبحانه قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، إذ لا سبيل للتقدم والتطور والبناء إلا بالعلم.

ونستطيع أن نستخلص من نزول (اقرأ) في بداية الوحي أنها بمثابة بيان صريح عن نقطة الانطلاقة للرقى بسانن العلوم، على اعتبار أن القراءة مفتاح العلم والمعرفة، ومن خلالها يمكن إدراك الأمور على حقيقتها، وفق رؤية علمية تستند إلى المصادر المعتمدة.

III- المبحث الثاني: الإيمان بالله

إن الإيمان هو المحرك الأساسي في امتثال أوامر الله واجتتاب نواهيه، ويُقصد بالإيمان بالله الاعتقاد الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح⁸،

⁶ عبد الباقي، محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث، 2008م)، ص479-482.

⁷ أبو عبد الله البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، كتاب: التعبير، باب: أول ما بدئ من الوحي الرؤيا الصالحة، تحقيق: محمد زهير، (بدون: دار طوق النجاة، 1422هـ)، 17/425.

⁸ والمراد بالسلف: القرون المفضلة، وصدر الأمة، وهم محل القدوة، لقرب عهدهم من النبي صلى الله عليه وسلم ومن صحابته الكرام، انظر: كتاب: الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط3 (بدون: مؤسسة الرسالة، 1423هـ)، 2/152.

والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم⁹، وقد دعا القرآن المؤمنين إلى الإيمان بهذه الأصول، وحذرهم من مغبة المخالفة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 136]، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من المؤمنين يؤمنون بوحدة جميع هذه الأصول على أساس وحدة مصدرها، قال تعالى: ﴿أَمَّا الرُّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285]، فوحدة الإيمان بهذه الأصول تعني وحدة الحقيقة التي دعا إليها القرآن: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92]؛ ولذا جاءت الآيات القرآنية تستند في دعوتها إلى التوحيد في اجتماع الكلمة على الملة الإبراهيمية، قال تعالى: ﴿قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 135-136]، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]، والقرآن بهذا العرض لأصوله الكبرى يقرر اشتراك الرسل - عليهم السلام - بمبادئهم، وهو بهذا الانفتاح يأخذهم إلى رحابه الواسعة دون خوف من الانشقاق في صفوف أتباعه، لأن دعوة القرآن في أصلها إنما هي امتداد لملة إبراهيم الحنيفية.

ثم بين القرآن الكريم أنه وبقدر ما يحقق الإنسان هذه الأصول الإيمانية في نفسه بقدر يحصل على السعادة والأمان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]، وجاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -، قال: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَالُوا أَيُّنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا

⁹ الأثري، عبد الله بن عبد الحميد، الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٢هـ)، 24/1.

هُوَ كَمَا قَالَ لَقَمَانُ لِابْنِهِ ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، [لقمان:13]¹⁰، قال ابن عاشور في تفسيره: "أشارت اللام إلى أن الأمن مختص بهم وثابت، وهو أبلغ من أن يقال: آمنون"¹¹، وقد وعد الله أهل الإيمان وعدًا صادقًا بالاستخلاف والتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، [النور:55]، وهذه الوعود من الله تعالى للعرب في حال قلتهم وضعفهم وفقروهم، وبعدهم عن الملك والسلطان..."¹².

لقد قدم القرآن الكريم العديد من الدلالات في علاقة الإيمان بالتنمية في مختلف جوانب الحياة: الصحية والاجتماعية والاقتصادية، وآيات أخرى أكدت على مسؤوليته تجاه البيئة والموارد الطبيعية، ويظهر ذلك جلياً من تشديد القرآن على الإنسان في خلافته للأرض، وعليه أن يحافظ على مواردها بحكمة واعتدال، وليس بخافٍ على أحد أن الدافع إذا كان مصدره من الداخل كان تأثيره أقوى.

كما أن الإيمان بالله مع العمل الصالح يعززان من قدرة الفرد والمجتمع على النمو والتطور، ويؤديان إلى الطمأنينة والحياة الطيبة السعيدة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، [النحل:97]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾، [الأنبياء:94]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، [الرعد:28].

قال ابن القيم-رحمه الله-: "فإن الطاعة حصن الله الأعظم، من دخله كان من الآمنين من عقوبات الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمناً، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوف، فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر، إن حركت الريح الباب قال: جاء الطلب، وإن سمع وقع قدم خاف أن يكون نذيراً بالعطب، يحسب أن كلَّ صيحةٍ عليه، وكلَّ مكروهٍ قاصدٌ إليه، فمن خاف الله آمنه من كل شيء، ومن

¹⁰ البخاري، مرجع سابق، كتاب: الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، 36/1، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، تحقيق: محمد فواد، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون)، 1/114.

¹¹ التونسي، محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، (تونس: الدار التونسية، 1984)، 333/7.

¹² الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)، 6/1.

لم يخف الله أخافه من كل شيء¹³.

IV - المبحث الثالث: الاجتماع والسمع والطاعة

إن من مقاصد الإسلام العظمى هو تألف المسلمين في صف واحد وعلى كلمة واحدة حول الإمام الحاكم، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103]، قال القرطبي-رحمه الله-: "فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ بِالْأُلْفَةِ وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَةِ فَإِنَّ الْفُرْقَةَ هَلَكَةٌ وَالْجَمَاعَةُ نَجَاةٌ"¹⁴، قال الإمام الرازي-رحمه الله- "وَدَمَ قَوْمًا وَصَفَهُمْ بِالتَّفَرُّقِ، فَقَالَ: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَصَلٌ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْغُمُونَ﴾"¹⁵ [الأنعام: 94]، إذ لا يمكن أن تنتعش التنمية في بلاد يكثر فيها النزاع ويسود بين أهله الاختلاف؛ ولذا نهى الله تعالى في القرآن الكريم عن التَّفَرُّقِ، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ النَّبِيُّاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105]، وجاء في حديث عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"¹⁶؛ ولذا جعل أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولي الأمر أصلاً من أصول العقيدة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، [النساء: 59]، وهذه الآية نص في وجوب طاعتهم، قال السعدي-رحمه الله- "وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده..."¹⁷. إن الشريعة الإسلامية تؤكد على واجب السمع والطاعة للإمام الحاكم، والتحذير في المقابل من مغبة منابذته وشق عصى الطاعة، لأن ذلك يفضي إلى الفساد، الذي ينهى الله-سبحانه وتعالى- عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85].

V - المبحث الرابع: العدل والمساواة

¹³ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (المغرب: دار المعرفة، 1997م)، 75/1.

¹⁴ أبو عبد الله القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، 2003م)، 159/4.

¹⁵ أبو عبد الله الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ط3 (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ)، 282/8.

¹⁶ البخاري، مرجع سابق، كتاب: الجمعة، باب: ظلم من انتظر حتى تدفن، 47/9.

¹⁷ السعدي الدمشقي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (بدون: مؤسسة الرسالة، 2000م)، 183/1..

إن العدل والمساواة من ثمرات عقيدة التوحيد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، [المائدة:8]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، [الحديد:25]، فالإسلام يأمر بالعدل، ويحارب التفرقة العنصرية بجميع صورها، ويهتم لأمر العدالة وتحققها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، [النساء:58]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، [النحل:90]، وقال تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾، [الطلاق:2]، فالعدل من أهم المبادئ الأساسية التي تحكم جوانب الحياة، فبه يأمن الناس على حالهم ومستقبلهم، ويطمئنوا على صيانة كرامتهم، وينعموا بحفظ حقوقهم من الظلم والتسلط والاستبداد، ويحول دون وقوع الناس في التنازع والتباغض والتدابير والتحاسد.

وتلعب المساواة دوراً هاماً في توزيع الفرص بشكل متساوٍ، مما يؤدي إلى تقليل نسبة الفقر والفجوات الاجتماعية بين جميع أفراد المجتمع؛ دون تمييز يمارس على أحد بسبب لونه أو جنسه، فالجميع سواسية في تحصيل الفرص والمميزات للوصول إلى الخدمات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، [الحجرات:13]، والإسلام مثلاً يحتذى به في تطبيق العدالة بمساواة تتوافق مع أصل الخلقة وطبيعتها، فهي مساواة مقيدة بأحوال يجري فيها التساوي حتى تكتمل دورة الحياة.

VI - المبحث الخامس: العناية الصحية

تؤثر العناية بالجوانب الصحية إيجابياً في تعزيز الإنتاج الاقتصادي للبلد، فالأفراد الأصحاء لديهم المقدرة على زيادة النمو الاقتصادي بعكس الدول التي تعاني من زيادة الفقر وتقلّ عندهم فرص التعليم، وسيأتي معنا في المبحث القادم الكلام عنهما.

لقد عني القرآن الكريم بتقديم إرشادات حول العناية بصحة الإنسان، وهذه التوجيهات من شأنها أن تحقق المواءمة بين متطلبات الإنسان الروحية والجسدية دون أن يطغى جانباً على الآخر، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، [القصص:77]، فالله - عز وجل - قد أباح للإنسان أن يسعى لتأمين احتياجاته من سكن ولباس ونكاح وأكل وشرب، والأدلة على ذلك متوفرة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل:80]، وجاء في حديث الثلاثة رهط: "أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكَيْتِ أَصُومُ

وَأَفْطِرُ، وَأُصْلِي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي¹⁸، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:15]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَبْنَا وَقُضْبًا * وَرَيْثُونًا وَنَحْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَآئِعًا لَّكُمْ﴾ [عبس:24-32]، وفي شأن التغذية الصحية يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، [الأعراف:31]، وفي شأن العناية بالنظافة الشخصية يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ النَّوَافِلَ وَيُحِبُّ الْمُنْطَهِّرِينَ﴾، [البقرة:222]، وجاء في الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- "لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ"¹⁹.

ويعنى القرآن الكريم بتعزيز جوانب الصحة النفسية ويشجع على النظرة التفاؤلية والتوكل على الله للتخفيف من التوتر والقلق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، [الطلاق:2-3]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، [الشعراء:80]، كما أن القرآن الكريم يحرم كل ما ثبت ضرره على صحة الإنسان، ومنه، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، [المائدة:90]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، [النساء:29].

إن العناية بالصحة في الإسلام تتجاوز المعلومات الطبية، فهي جزء لا يتجزأ من العبادة والإلتزام بالقيم الأخلاقية التي توجه المسلم نحو حياة صحية متوازنة.

VII - المبحث السادس: العمل والالتقان

أوجب الإسلام على الإنسان أن يعمل ويبحث عن أسباب الرزق الحلال؛ لأن في العمل قوام حياة الإنسان ومن يعول، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾، [الجمعة:10]، قال الخازن: "أي: إذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق..."²⁰، كما يقرر الإسلام مبدأ الكسب من عمل اليد، وأثر ذلك عظيم على الصحة البدنية والعقلية والروحية، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنْ نَبِيَ اللَّهُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ

¹⁸ البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب: الترغيب في النكاح، 5063/2/7.

¹⁹ البخاري، مرجع سابق، كتاب: الوضوء، باب: الماء الدائم، 75/1، كما أن لهذا الحديث تعلق في حماية البيئة من الملوثات.

²⁰ الخازن، علي بن محمد بن عمر، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ).

يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ"²¹، وعندما سأل رافع بن خديج-رضي الله عنه- النبي -صلى الله عليه وسلم، أيُّ الكَسْبِ أَطْيَبُ؟، قال: "عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ"²²، ولم يكتفِ الإسلام بالدعوة إلى العمل، حتى طالب بالإتقان والتجويد، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195]، كما أن الإسلام يعزز معنى الأخوة والتعاون بين أتباعه، فظهر نتيجة هذا الاهتمام مفهوم الجسد الواحد، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى"²³، وهذا ما يفسر دعوة الإسلام لاجتماع الكلمة ووحدة الصف في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:103]، وبالقدر الذي يعزز فيه الإسلام معنى الأخوة تجده يحارب فكرة البطالة ويقاوم الكسل، قال الرسول-صلى الله عليه وسلم- "مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ، حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُرْعَةٌ لَحْمٌ"²⁴.

ويتبين لنا من خلال استعراض الآيات الكريمة والأحاديث النبوية أهمية العمل ومكانته في ثقافة المسلمين، ولا عجب من ذلك فهو عامل رئيس في مكافحة الفقر، وهو السبيل الممهدة للتنمية المستدامة، وله أثره الإيجابي في تحقيق الاستقرار المالي.

VII- المبحث السابع: المحافظة على البيئة والاستهلاك الرشيد

يولي القرآن الكريم اهتماماً كبيراً بالبيئة، ويعدّها من النعم التي يجب المحافظ عليها، ويطلب من الإنسان الاعتدال في استهلاك مواردها، ويُعدُّ الاستهلاك الرشيد من المبادئ المهمة في تحقيق التنمية المستدامة، لأنه يسهم في الحفاظ على الموارد الطبيعية ويعزز من استدامتها للأجيال القادمة، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، [الأعراف:31]، فالآية الكريمة توضح ضرورة الاعتدال في الاستهلاك، وتؤكد بشكل قاطع على أن الإسراف ليس محبباً؛ لأنه بطبيعة الحال يؤدي إلى الهدر ثم التدهور البيئي، وهذا يتعارض مع مبدأ التنمية المستدامة.

إن احترام الطبيعة والمحافظة عليها من العبادات التي أوجبها الله، فهو -سبحانه- الذي جعلها

²¹ المرجع السابق.

²² أبو عبد الله الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث رافع بن خديج، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون (بدون: مؤسسة الرسالة، 2001م)، 502/28.

²³ البخاري، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، 3238/5.

²⁴ البخاري، مرجع سابق، كتاب: الزكاة، باب: من سأل الناس تكثراً، 123/2.

بهذا القر من الإتقان والدقة والجمال، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَئِيًّا لِلنَّاطِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِزَاقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاحِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾، [الحجر: 16-23]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَاثُونَ يَوْمًا وَتَرَى الْفُلَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، [النحل: 14-16]، ثم حذر من الفساد والإضرار بالبيئة واستنزافها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾، [البقرة: 205]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، [الأعراف: 31]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، [الأنعام: 141]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، [الأعراف: 85]، ﴿وَلَا تَعْتَدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، [العنكبوت: 36]، من خلال هذه الآيات التي تحت في مجملها على الإصلاح، وتنتهي في المقابل عن الإسراف والفساد؛ نستنبط أهمية المحافظة على كوكب الأرض من التغير أو العطب، ويجب على العالم أن يسرع في إيجاد الحلول المناسبة للتصدي لأي مظاهر تؤثر عليه سلبًا.

أيضًا لا ننسى أن نذكر الماء؛ فهو في مقدمة الثروات التي يجب المحافظة عليه وحمايته من الملوثات، قال تعالى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾، [القمر: 28]، قال الشنقيطي: "قال الماء شركة بين الجميع ما دام في موره من النهر، أو البئر العام، أو السيل، أو الغدير ..."²⁵. ونصل مما سبق إلى أن الاستهلاك الرشيد في الثقافة الإسلامية لا تقتصر على تخفيض القيمة الاستهلاكية، وإنما هي منظومة شاملة تسهم في المحافظة على البيئة، وتشجع على حفظ مواردها الطبيعية، والاعتدال في استخدامها، وحمايتها من التلوث أو الإهمال، قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فِئِيلَةٌ فَلْيُغْرِسْهَا"²⁶.

²⁵ الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، 1995م)، 32/8.

²⁶ أحمد بن حنبل، مرجع سابق، مسند أنس بن مالك -رضي الله عنه- 251/20.

VIII - الخاتمة:

الحمد لله حمدًا طيبًا مبارك فيه؛ إذ أفاض عليّ من كرم جوده وواسع فضله في كتابة هذا البحث، وإتمامه، والذي ضمنته الحديث عن مقومات التنمية المستدامة في القرآن الكريم، أسأل الله أن يجعله نافعا لي، ولكل من يطلع عليه، وأحب أن أسجل ما توصلت إليه من نتائج، وهي:

يحوي القرآن الكريم على أصول مقومات التنمية المستدامة، وهي تغطي جميع الجوانب التي من شأنها أن تحقق الحياة الكريمة للإنسان، حيث تتسم المعرفة القرآنية بالشمول والتكامل والخلود.

وجود حاجة ماسة إلى الاستفادة من القرآن الكريم في معالجة المشاكل التي تعترى الناس، وخصوصًا إذا كان الموضوع من الموضوعات التي لم يُنشر إليها السابقون، وهذا ما يمثل -بفضل الله- الإضافة التي قدّمها هذا البحث.

القرآن العظيم معجزة النبي صلى الله عليه وسلم الخالدة إلى يوم القيامة، ولا يزال العلماء والمفسرون ينهلون من معينه المتجدد وهداياته الحكيمة.

تتسم عقيدة الإسلام بالوسطية، ومن خلال منهجها المعتدل يحصل الإنسان على التوازن والاستقرار.

إن أمن الإنسان في الحياة موقوف على تحقيق هذه المقومات -موضوع البحث-.

تكن قوة المجتمع في المحافظة على ثرواته، ويجب أن يتعامل معها كل فرد من أفراد المجتمع على أنها مكسب من مكتسباته التي ينبغي المحافظة عليها.

التوصيات:

نشر الوعي بأهمية حماية الموارد الطبيعية وحسن إدارتها، وذلك من خلال المناهج التعليمية في التعليم العام والأبحاث العلمية في التعليم العالي.

عمل كراسي بحثية متخصصة في الجامعات تعنى بدراسة مقومات التنمية المستدامة، وخاصة في الجامعات التي يجتمع فيها التخصصات، حتى تتظافر الجهود في العمل.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (القاهرة، دار الدعوة، بدون)، 305/1.
- 3- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. (1997م)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (المغرب: دار المعرفة، 75/1).
- 4- أبو الحسين زكريا. (2008م)، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة العربية المعاصرة، (بدون: عالم الكتب 2290/3).

- 5- أبو الفداء الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير. (1994م) ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمود حسن (بدون: دار الفكر، 3/ 65).
- 6- أبو عبد الله البخاري، محمد بن إسماعيل. (1422هـ-)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، كتاب: التعبير، باب: أول ما بدئ من الوحي الرؤيا الصالحة، تحقيق: محمد زهير، (بدون: دار طوق النجاة، 17/ 425).
- 7- أبو عبد الله الرازي، محمد بن عمر. (1420هـ-)، التفسير الكبير، ط3(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 282/8).
- 8- أبو عبد الله الشيباني، أحمد بن محمد بن حنبل. (2001م) ، مسند الإمام أحمد، مسند الشاميين، حديث رافع بن خديج، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون (بدون: مؤسسة الرسالة، 28/ 502).
- 9- أبو عبد الله القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر. (2003م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (الرياض: دار عالم الكتب، 4/ 159).
- 10- أبو نصر الجوهري الفارابي، إسماعيل بن حماد. (1987م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 6/ 1، 2404.
- 11- الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. (١٤٢٢هـ-)، الوجيز في عقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،)، 1/ 24.
- 12- الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا. (1990م)، تفسير المنار، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، 6/ 1.
- 13- حنين عدیل. (2019م) ، معنى التنمية المستدامة، رابط:
https://mawdoo3.com/%D9%85%D8%B9%D9%86%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9#cite_note-2w3tqJEoEK-1
- 14- الخازن، علي بن محمد بن عمر. (1415هـ-) ، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح: محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- 15- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: م حمود خاطر. (1995م)، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون)، 1/ 218.
- 16- السعدي الدمشقي، عبد الرحمن بن ناصر. (2000م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح (بدون: مؤسسة الرسالة)، 1/ 183.
- 17- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. (1995م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع)، 8/ 32.

- 18- صالح بن فوزان بن عبد الله. (1423هـ)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، ط3 (بدون: مؤسسة الرسالة)، 2/152.
- 19- عبد الباقي، محمد فؤاد عبد الباقي. (2008م)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث)، ص479-482.
- 20- عمر، د. أحمد مختار. (2008)، وفريق عمله، معجم اللغة العربية المعاصرة، (بدون: عالم الكتب)، 3/2290.
- 21- محمد الطاهر بن عاشور. (1984م)، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير الكتاب المجيد، (تونس: الدار التونسية)، 7/333.